



## إبيارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

أكتوبر ٢٠٢٠ م

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات

"الجلوس بين البرص ولا الجلوس بين المتكبرين"<sup>١٢</sup> (مار اسحق السرياني)  
لقد قلت بصوت منخفض: "إنني أفكر دائماً فيما يظنه الآخرون عني". فنظر إليّ مرشدي الروحي بعينين حانيتين وقال: "يا ابني، الأهم من ذلك هو ماذا يظن الله فيك؟" لقد كانت كلماته بسيطة ولكنها عميقة لدرجة أنني شعرت أن إجابته نختست قلبي.<sup>١٣</sup>

لقد تساءلت لماذا يعتبر المجد الباطل والكبرياء أسوأ الأهواء جميعها؟<sup>١٤</sup> يرتبط المجد الباطل والكبرياء ببعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً حتى أن العديد من الآباء لا يعتقدون أنه من المفيد دراسة هذين الهويين بشكل منفصل عن بعضهما البعض. على كل حال، أي كبرياء يبقى في الإنسان الذي غلب المجد الباطل. الفرق بينهما هو الفرق بين الطفل والرجل، الدقيق والخبز، لأن الأول هو البداية والثاني هو النهاية. إننا نستطيع أن نقول عن الكبرياء والمجد الباطل: "طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء. طرق الهاوية بيتهما هابطة إلى خدور الموت" (أم ٧: ٢٦-٢٧). يقول دي بينوك بشكل صريح أن تصديق أفكار الكبرياء هو "أكل عقلي للحوم البشر"<sup>١٥</sup>

يذهب آباء الكنيسة إلى حد اعتبار المجد الباطل مرضاً ونوعاً من الجنون. يكتب القديس يوحنا ذهبي الفم بصراحة قائلاً: "المجد الباطل هو نوع من أنواع الجنون"<sup>١٦</sup> يقول مار اسحق السرياني: "لا يقتني الرجل

12. Saint Isaac the Syrian, The Ascetical Homilies (Holy Transfiguration Monastery), Homily 51, P. 382.

13. Cf. "The words of the wise are like goads, and the words of scholars are like well-driven nails, given by one Shepherd." Ecclesiastes 12:11

14. More on the Passions, Dr Jean-Claude Larchet, Therapy of Spiritual Illnesses, An Introduction to the Ascetic Tradition of the Orthodox Church Volume One (Alexander Press), P. 127

15. Dee Pennock, Who Is God? How Am I? Who Are You? (Greek Orthodox Archdiocese of America, Department of Religious Education), P. 36.

16. Dr Jean-Claude Larchet, Therapy of Spiritual Illnesses, An Introduction to the Ascetic Tradition of the Orthodox Church Volume One (Alexander Press), chapter 10, P. 231.

فهماً لو كان غير متواضع، والذي ينقصه التواضع هو خالي من الفهم. لا يكون الرجل متواضعاً لو كان فاقداً سلامه، وفاقد السلام لا يكون متواضعاً. ولا يوجد رجل في سلام من دون أن يكون في فرح" ١٧

"محبة الذات والرأي المتفاخر في أنفسنا يولد في داخلنا شراً آخر يسبب لنا ضرراً مخزناً وهو الحكم القاسي على القريب وإدانته عندما ننظر له على أنه لا شيء ونحتقره ونهينه لو سنحت الفرصة. هذه العادة الرديئة أو هذه الرذيلة إذ تولد من الكبرياء تتغذى وتنمو على الكبرياء، وبدورها تغذي الكبرياء وتجعله ينمو. ففي كل مرة ندين، يتقدم الكبرياء خطوة إلى الأمام بواسطة الشعور المصاحب للإدانة بأهمية الذات وإشباع الذات. إذ نفكر في أنفسنا ونقيّمها على أنها عظيمة، فمن الطبيعي أن ننظر للآخرين من أعلى، وأن نحكم عليهم ونحتقرهم لأننا نبداً أمام أنفسنا بعداء تماماً عن مثل هذه الأخطاء التي نظن أنها موجودة لدى الآخرين. وهنا إذ يرى عدونا الشرير استعدادنا الشرير ينتصب بأن يفتح أعيننا ويعلمنا أن نبقى يقظين لما يقوله الآخرون وما يفعلونه. من خلال هذه الملاحظات، يجعلنا نستنتج أفكارهم ومشاعرهم، وبناء على هذه الافتراضات نكون رأياً عنهم، وهو يكون غير جيد بوجه عام، مضخمين هذا الضعف المفترض جاعلينه سمة متجذرة لدى الآخرين. هؤلاء القضاة لا يرون ولا يدركون أن أصل حكمهم أي الشك الخاطيء في الآخرين، أوحى إليهم به في عقلهم بعمل العدو، ثم تضخم بواسطته وصار قناعة راسخة أنهم حقاً هكذا على الرغم من أن الأمر ليس هكذا بالمرّة. هكذا يا أخي، إذ يراقبك العدو باستمرار منتظراً فرصة لكي يزرع بذرة الشر داخلك، اسهر على نفسك بشكل مضاعف لئلا تقع في الشبكة المنصوبة لك. بمجرد أن يظهر لك خطأ في قريبك، أسرع واطرد هذا الفكر لئلا يتجذر داخلك وينمو. اطرده خارجاً، لئلا يترك أثراً داخلك، واستبدله بالتفكير في الصفات الجيدة التي تعرف أنها موجودة لدى قريبك، أو التي ينبغي على الناس اقتناؤها بوجه عام. لو مازلت تشعر بالرغبة في الإدانة، أضف إلى هذه حقيقة أنه ليس لك سلطان أن تحكم وأنه في اللحظة التي تفترض فيها هذا السلطان تجعل من نفسك مستحقاً للحكم والدينونة، ليس من أمام بشر ضعفاء، بل أمام الله كلي القدرة قاضي الجميع" ١٨

لأن ربنا قال: "ولا تدينوا فلا تدانوا. لا تقضوا فلا يقضى عليكم. اغفروا يغفر لكم" (لو ٦: ٣٧).

لن يسألنا الله لماذا فعل الراهب القلايني ذلك، أو لماذا تصرف الراهب القلايني هكذا، ولكن كل واحد منا سوف يعطي حساباً عن أعماله الشخصية. ينصب العدو فخاخه لكي يصطادنا عندما نشن حرباً

17. Saint Isaac the Syrian, The Ascetical Homilies (Holy Transfiguration Monastery), Homily 51, P. 384.

18. Theophan the Recluse, Unseen Warfare (SVS Press), PP. 197, 198.

خاطئة على إختوتنا. ألسنا نعلم أننا سوف نكون في السماء معاً؟ لقد قال القديس أنطونيوس أن حياتنا وموتنا هما مع إختوتنا. يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "حتى متى سنظل نقاوم بعضنا البعض؟ حتى متى سنظل نشن حرباً ضد بعضنا البعض؟ إننا إذ نفعل ذلك، نمنح لعدونا الشرير النصر علينا". إننا نحمل ختم المحبة عندما نعتمد في المسيح "وصية جديدة أنا أعطيتكم: أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضاً لبعض" (يو ١٣: ٣٤-٣٥). دعونا نحتمل كما فعل ربنا عندما "بذل ظهره للضاربين وخرده للنااتفين. الذي لم يرد وجهه عن خزي البصاق". لقد علمنا حبيبنا الطريق عندما قال على الصليب: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون". لكن هل كانوا بحق لا يعلمون ماذا يفعلون؟ كان على المرء أن يتطلع فقط لهذا الوجه "الأربع جمالاً من بني البشر"، على المرء أن يسمع فقط النعمة المنسكبة على شفثيه: "انسكبت النعمة على شفثيك لذلك باركك الله إلى الأبد" طالباً الغفران من أجل صالبيه. ذاك الذي "إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد". ذاك الذي "أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب". يقول القديس يوحنا الدرجي: "مغبوط هو الرجل الذي يمت إرادته، ويخضعها ويطيع الذي أعطاه الله إياه كمرشد وأب روعي، لأنه بلا شك سوف يكون مكانه على يمين يسوع المسيح المصلوب". يقول القديس بطرس: "كذلك أيها الأحداث، اخضعوا للشيوخ، وكونوا جميعاً خاضعين لبعضكم لبعض، وتسربلوا بالتواضع، لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة. فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه. ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم".